

الصاعقة التاسعة والأربعون: مَبَيْتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ (*)

مَبَيْتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الطَّبِيِّ لَوْنَا
وَشَوْقٍ كَالْتَّوَقُّدِ فِي فُؤَادِ
سَقَى الدَّمَّ كُلَّ نَصَلٍ غَيْرِ نَابِ
فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَّتْ
فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمْرَاتِ يُكْنَى
وَقَدْ نَسِيَ الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى
لَقُوهُ حَاسِرًا فِي دِرْعِ ضَرْبِ
كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا
كَأَنَّ جَوَارِي الْمَهْجَاتِ مَاءٌ
فَإِذَا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مُفَاتِ
وَمُنْعَفَرٍ لِنَصَلِ السَّيْفِ فِيهِ
حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشِ
وَهُمْ كَالْحُمَيَّا فِي الْمَشَاشِ^(١)
كَجَمْرٍ فِي جَوَانِحِ كَالْحَاشِ^(٢)
وَرَوَى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشِ^(٣)
لِنُصَلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرِّيَاشِ
كَأَنَّ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ
رَدَى الْأَبْطَالِ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ
دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهَبِ الْحَوَاشِ
وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنَحَةَ الْفَرَاشِ
يُعَاوِدُهَا الْمَهْنَدُ مِنْ عَطَاشِ
وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلٍ مُطَاشِ
تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنْ احْتِرَاشِ^(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح أبا العشائر، ويذكر إيقاعه بأصحاب باقيس ومسيره من دمشق.

(١) اللقي: الشيء الملقى. الحمياً: سؤرة الخمر. المشاش: رؤوس العظام الرخوة.

(٢) المحاش: ما أحرقتة النار.

(٣) ناب: من نبا السيف إذا كان عن الضريبة. رمح غير راش: غير خوار ولا ضعيف.

(٤) الاحتراش: صيد الضب.

يُدَمِّي بَعْضُ أَيْدِي الْخَيْلِ بَعْضًا
 وَرَائِعُهَا وَحِيدٌ لَمْ يَرْعَهُ
 كَأَنَّ تَلَوِّي النَّشَابِ فِيهِ
 وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهَبِ أَوْلَى
 تُشَارِكُ فِي النَّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا
 وَمَنْ قَبْلَ النَّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِي
 فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُورِي
 كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ
 أَأَصْبِرُ عَنْكَ لَمْ تَبْخُلْ بِشَيْءٍ
 وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤْسَاءِ عِنْدِي
 فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ
 تُطَاعِنُ كُلَّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا
 أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ
 وَمَا بَعْجَايَةَ أَثْرُ ارْتِهَاشِ^(١)
 تَبَاعَدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ^(٢)
 تَلَوِّي الْخَوْصِ فِي سَعَفِ الْعِشَاشِ^(٣)
 بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهَبِ الْقُمَاشِ
 بَطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجِحَاشِ
 تَبَيَّنُ لَكَ النَّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ
 وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَاشِي
 فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشِي
 وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشِ
 عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْخِشَاشِ^(٤)
 وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِ
 وَلَوْ كَانُوا النَّبِيْطَ عَلَى الْجِحَاشِ^(٥)
 وَإِنِّي مِنْهُمْ لِلْإِيكَ عَاشِ

(١) العجاية: عصابة في اليد فوق الحافر. الارتهاش: أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى حتى تدمى رواهشها وهي عصب الذراع.

(٢) رائعها: مخوفها. المستجاش: الذي يطلب منه الجيش أو القائد.

(٣) العشاش: جمع عشة: النخلة قليلة السعف.

(٤) العتيق: البازي - الخشاش: صغار الطير.

(٥) النبيط: قوم بسوار العراق.

بُلِيتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يَلْقَى
 عَلَيْكَ إِذَا هُزِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي
 أَتَى خَبَرَ الْأَمِيرِ فَقِيلَ كَرُّوا
 يَقُودُهُمْ إِلَى الْهَيْجَا جُوجُ
 وَأَسْرَجَتْ الْكُمَيْتُ فَنَاقَلْتُ بِي
 مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تَذَبُّ عَنْهَا
 وَلَوْ عَقِرْتَ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ
 وَإِذَا ذُكِرْتَ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ
 تُزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ
 وَمَا وَجِدَ اشْتِيَاقُ كَاشْتِيَاقِي
 فَسَرَتْ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
 أَنْوَفًا هَنَّ أَوْلَى بِالْخَشَاشِ^(١)
 وَحَوْلِكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هَرَّاشِ^(٢)
 فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لِحَقُوا بِشَاشِ^(٣)
 يُسَنُّ قِتَالَهُ وَالْكَرُّ نَاشِي^(٤)
 عَلَى إِعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِي^(٥)
 بِرُمُحِي كُلُّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ
 حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلُّ مَاشٍ
 وَشَيْكَ فَمَا يُنْكَسُ لِانْتِقَاشِ^(٦)
 وَتُلْهِي ذَا الْفِيَّاشِ عَنِ الْفِيَّاشِ^(٧)
 وَلَا عُرِفَ انْكَمَاشٌ كَانْكَمَاشِي^(٨)
 وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ

(١) الخشاش: عود يدخل في أنف البعير يشد فيه الزمام.

(٢) الهراش: الخصام.

(٣) شاش: بلد وراء النهر.

(٤) يسن: يطول عمره. ناشي: حديث السن.

(٥) المناقلة: إسراع نقل القوائم. الإعقاق: الحبل. الغشاش: العجلة.

(٦) شيك: دخلت الشوكة في جسده. الانتقاش: إخراج الشوكة.

(٧) المصبور: المحبوس على القتل. الفيّاش: المفاخرة.

(٨) الانكماش: الإسراع.